

توفيق الحكيم بين الأدب والفن للأستاذ دريني خشبة

ومن الطريف اللطيف في متحف توفيق الحكيم أنك ترى به التمثال الكامل والتمثال النصفى ... كما ترى فيه حطاما من تماثيل لم ترَ . فأهوى عليها بمنحته ومطرقة فجعلها هشبا ، ثم عززت عليه فم يلق بها خارج المتحف ، بل تركها فيه ... لأنها وإن فقدت ذراعاً أو ذراعين ، أو نقصت ساق أو ساقين ، فإنها تمثل في ذهنه فكرة مقدسة ... الفكرة التي أوحى إليه « مشروع » التمثال ، ولهذا تحتفظ المتاحف بالتماثيل المهمة !

وقل مثل هذا في صور الرسام الفنان توفيق الحكيم ، فإلى جانب الصور الكاملة البارة ، التي أخذت حظها الوفور من حسن التوزيع والعدل بين الألوان ، ترى صوراً لم يتقن « طبخ » ألوانها حسب الأصول الفنية ، ومع هذا فقد احتفظ بها في المتحف كما احتفظ بتماثيله المهمة للسبب الذي أسلفنا

أما موسيقا توفيق الحكيم فهي من هذا النوع الصامت الذي يخامر القلب ويمر مع الدم ويرهف الأعصاب ... وقد تكون موسيقا « زائطة » أحياناً ، وهي لا تكون « زائطة » إلا إذا أفاق من سكرة الأدب والفكر والفن ، واستسلم إلى هذا الإله الطفل المريد « أمور ! » أو « كيوييد » ذى الجناحين

لا فرق مطلقاً بين أن تقرأ توفيق الحكيم وبين أن تقف في متحف للفنون الرفيعة ، أو أن تسمع إلى قطعة موسيقية ، أو أن تجلس هادئاً ساكناً في مسرح عظيم تشهد مأساة تشجيك أو ملهاة تسليك ...

تقرأ توفيق الحكيم فتتنظر إلى التماثيل الرائعة تتحرك وتتكم وتنظر وتبتسم وتمتلئ بالحياة وتفيض بالجمال ... ثم ترى إلى الصورة التي انسجمت ألوانها وأحكمت خطوطها وأبدع فيها توزيع النظر ، وأكسبتها « اللسات » الأخيرة سر المصور ، وجرت في أركانها بعبريته ... فإذا أققت من ذلك سمعت (أزاميل) المثالين ومطارقهم تدق ... كأنها تشترك في تأليف لحن موسيقى ... فإذا أدت عينيك شهدت أبهاء المتحف ورددهاته قد امتلأت بالدنى والتماثيل والصور ...

لا لغة الخواص ، وأن العرب قد برئت عيونهم من غشاوة الإسفاف والابتذال

أنا أدعوكم إلى الاحتفال بعيد اللغة العربية ، فقد انتصرت على أبنائها ، لا على أعدائها ؟ فإنا كان للغة العربية أعداء غير أولئك الأبناء

في إنجلترا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا إذاعات عربية لا تعرف غير اللغة الفصحى ، لأنها تريد أن تخاطب العرب بلغتهم الدولية لا المحلية ، واللغة الفصحى هي لغة العرب الدولية ، كما يفهم الأوروبيون والأمريكيون ، وهم أهل الخبرة بطباع النفوس في هذا الجيل

اسمعوا صوت الزمن ، إن لم تسمعوا صوت الحق ، واحتفلوا معي بعيد اللغة العربية في عيد القمر ، وهو عيد التضحية ، وفيه الوفاء .

ذكي مبارك

إن أجبت دعوتي فسترون أن الجمهور يقبل على الفصاحة وينصرف عن التهرج

كان في عصر شوقي وحافظ ألف زجل وزجل ، فإلى من استمع الشعب المصري ؟ استمع إلى الزجلين ونصام عن شوقي وحافظ !

اتقوا الله في وطنكم يدعوا العامية بهذه البلاد ، فإن لم تتقوا الله في وطنكم فانتقوا في أنفسكم ، قبل أن تحمل عليكم عواقب الإهمال

وما أقوله عن المصريين أقوله عن إخوانهم في سائر الأقطار العربية ، وهي أقطار تنتظر من يسمو بها إلى أرفع منازل البيان لقد جدت بنا الأيام ، والأيام لا تعرف الهزل ، فلينصرف الهازلون عن إفسادهم الرذول ، إن كانوا يعقلون

اللغة الفصحى هي لغة العرب في هذا المهد وفيما يليه من المهدود ، فليعرف من لم يكن يعرف أن اللغة العامية لغة العوام

قطعة الأدبية الرفيعة . إنه يصنع بها ما يصنع المثال أو المصور ، يتناولها من كل جانب ، وينظر إليها من جميع نواحيها ، فإذا لم ترقه بعد ذلك كله ، سهل عليه أن يمزقها : ففي أكثر من موضع من كتابه يتحدث عن القصص الحوارية التي أتمها ثم لم تعجبه فزقها ... كما يتحدث عن هذه الاختبارات التي كان يجربها على بعض تلك القصص ، بإعطائها بعض الأدباء الفرنسيين ليروا رأيهم فيها ، ومن هؤلاء هذا السيوي (هاب) الذي كان يعذب الحكيم دائماً بهذه القولة : (نعم ... نعم ... لديك موهبة الحوار ... ولكن ... !)^(١) وكانت ... لكن ... هذه تعصف بنفسه كما تعصف يد الطفل بعنق الكتكوت ! ... وقد قالها ناقد آخر غير السيوي هاب بعد أن قرأ قصة أبلغها الحكيم إلى خمسمائة صفحة ، حيث قال : (أفكار كثيرة وموهبة في الحوار ... لكن ... !) فما كان من صاحبنا إلا أن مزق هذه القصة أيضاً !

هكذا كان الحكيم ' ينشئ ' فنه وأدبه ... وكان له أستاذ في الفن ، هو رجل فقير كان يقنع منه بأجر نائه لا يمدد الأكل والشرب (من أوسط ما يطعم هو ويشرب !) على أن يصحبه إلى المتاحف والميادين والمتنزهات ، حيث يشرح له دقائق الفن وييسره بأسراره ، ... وهنا تتحضر الكلمات في صدر قلبي ... لقد قتل الحكيم أستاذه هذا بعد أن استغنى عنه ... لقد جاءه الرجل في ليلة عاصفة شديدة البرد وهو يرتجف ... ويطلب دائراً يقيه القر ... (فلم أرد عليه بكلمة ... ولكني أخرجت له ورقة مالية صغيرة وضعتها في كفه كأنه شحاذ ، فرجع الشيخ قبته شكراً وانصرف صامتاً ... !) وإذا أحببت يا صديقي القاري أن تدخل جحيم الحكيم فاقراً هذه المأساة (ص ٧٤) ، لأنني لا أوتر أن أدخلها معك !

بصّر هذا الرجل الفنان الذي كان يربي على الثمانين أدينا العظيم بدقائق الفن ، وأطلعه على أسراره ، كما بصره السيوي هاب بالأدب الكلاسيكي كله ، أو أحسن روايته ... فهل تدرى من بصره بالموسيقا ؟ ... إنها مجوز شمطاء ... إنها أم السيوي

والكناتين ، يصيبه منهما بسهم ذهبي فيخفق فواده بحب إيماء ؛ ' يرشيه بسهم « رصاصي » فيلمن جميع بنات حواء ! عند ذلك تأتي موسيقاه (زائطة) أو (نشازاً) ، ويكاد الإنسان يفضل عليها موسيقا (الزمار البلدي !)

ترى ... لو أن الأستاذ الحكيم كان قد فرغ إلى فنون التصوير والنحت والموسيقا كما فرغ اليوم إلى (فن الأدب) فأى ثروة كان يستطيع أن يعد بها هذه الفنون الناعمة اليوم في مصر ، وأى حياة كان يشيعها فيها ؟

لقد نشأ الحكيم ذوقه الأدبي في أبياء متحف اللوفر بفرنسا ، ولا داعي مطلقاً لأن نكتب ما كتبه هو عن ذلك في (زهرة العمر) ذلك المفتاح السحري الذي يسلك بك إلى جنة توفيق الحكيم ، وإلى جحيمة أيضاً ... فاسمع إليه يقول لصديقه أندريه ، أو يدعي أنه يقول له ، وذلك بعد أن أخبره أنه ذهب إلى اللوفر كعادته ، وأنه ينفق اليوم بطوله هناك ، وأنه يخصص يوماً كاملاً لكل قاعة من قاعاته ، لأنه ليس سائحاً متعجلاً ... (إنني أبحث أمام كل لوحة عن سر اختيار هذه الألوان دون تلك ، وعن مواطن برودتها وحرارتها ، وعن رسم أشخاصها وبروز أخلاقهم واتساق جموعهم وحركتهم وسكونهم ؛ كل لوحة في الحقيقة ليست إلا قصة تمثيلية داخل إطار ، لا داخل مسرح ، تقوم فيه الألوان مقام الحوار . إنني لأكاد أصنى إلى أحداث الأبطال وهم على الموائد في أفراح (قانا) لوحة (فيرونيز) ، وأكاد أسمع ضجيج الحاضرين وصياح الشارين وزنين الكؤوس وخرير النبيذ يفرغونه من دن إلى دن . إن طريقة إبراز كل هذه الحياة بالريشة لقريب من طريقة إبرازها بالقلم . إن أساس العمل واحد فيهما ... الملاحظة والإحساس ثم التعبير بالرسم والتلوين ، بل إن الروح أحياناً ليتشابه . لطالما وقفت عتاي طويلاً على صفحات ناثر أو شاعر ، وأنا كالأخوذ ، أخض السطور بيدي لا تبين إن كانت من مداد أو من أنير^(١) ...)

وهذا تعبير صادق عن طريقة توفيق الحكيم التي يتناول بها

أندريه الذى يقول لنا الحكيم إن هذا الكتاب الكبير الجليل هو الرسائل التى كتبها إليه من فرنسا إلى فرنسا ... ومن الإسكندرية إلى فرنسا ، ومن طنطا ومن دسوق إلى فرنسا أيضاً . فلقد كان الحكيم يجرها من المطبخ بقطعتها لتجلس إلى البيانو حيث تنفى له من « كارمن » ومن « فاوست » ومن « أجراس كورنفيل » ... إلى أن عرف طريق دار الأوبرا والأوبرا كوميك ثم قاعات الكونسير « كولون » و « جافو » و « بادلو » فلم يعد إليها بعد ذلك قط^(١) ! أى كما صنع مع الشاعر الفنان البرناسى تماماً ... وهنا أيضاً تتفتح أبواب جحيم الحكيم ، فاختر لنفسك أيها القارى !

ولست أدري لماذا لا نشبها جذعة بين موسيقينا وبين توفيق الحكيم بمناسبة جزاء سمار الذى لقيته هذه الأستاذة المعجوز على يديه بعد أن كانت السبب فى معرفته الأوبرا والأوبرا كوميك والسمفونيات وتهوثن ! أيها الموسيقيون المصريون اعلموا أن الأستاذ توفيق الحكيم لا يطرب لكم ، بل هو يضيّق بكم ، فهو يقول ، وتستطيعون أن تبحر هذا الكلام فى كتابه زهرة العمر ص ١٦٦ « ... أغالط نفسى ؟ أخشى أن يكون حبي للموسيقى الأوربية مصدره أنها قبل كل شيء بناء ذهنى . ذلك أن موسيقانا ، وهى قائمة على الطرب والتأثير المادى ، لا تسترعى منى اليوم أى التفات . الواقع أن الموسيقى الأوربية بناء فنى ذهنى ، شأنها فى ذلك شأن القصة التمثيلية ، والهندسة المعمارية ... بل شأن المذهب الفلسفى والتفكير الرياضى ! » فاقول الأستاذة محمد عبد الوهاب ورياض السنباطى والقصبجى وفاضل الشوا فى هذا الكلام العجيب عن الموسيقى ! ومتى يحظى منكم الأستاذ الحكيم بشئ من المعادلات الجبرية وحساب المثلثات والجذور التكعيبية وقوانين طورشيل وفيتاغورس ، وجابر بن حيان والبيروني تبثونها فى ألحانكم لترفعوا بها عن الطرب والتأثير المادى ! لست أدري كيف نكون الموسيقى التى لا تطرب ؟ ولست أدري كذلك كيف يكون تأثير الموسيقى مادياً ؟! أعترف أولاً

أننى لا أعلم مطلقاً بالموسيقى كعلم ... بيد أننى أطرب ، وهذا ما يعنيه الأستاذ الحكيم على الموسيقى الشرقية - كوسيقى عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى وفاضل الشوا ، وكثير ما أكتفى بالإصغاء إلى المقدمات الموسيقية عن الغناء ، لكننى ما أحسست ضرورة أن يدي أو رجلى أو ظهري مثلاً أو أى عضلة من جسمي هى التى وقع عليها التأثير الموسيقى ؛ بل الذى كان يتأثر فى كل مرة هى روحى ... أى أعصابى ... والذى أعرفه أن المخ هو مراكز الأعصاب كما أنه مركز الذهن . مع علمى بأن جدلاً كثيراً يدور حول هذه الحقائق النفسية ... فكيف إذن يريد الأستاذ الحكيم أن تقوم موسيقى على غير التطرب ؟ وماذا يعنى بقوله إن الموسيقى الشرقية تقوم على الأثر المادى ؟! أنا أفهم أن يقال إن الموسيقى الشرقية ما تزال متأخرة بل جامدة رغم ما أنشأ فيها عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى وفاضل الشوا وغيرهم من كرام الموسيقيين ، ولكنها تستطيع مع هذا ، أن تقف على قدميها إلى جانب الموسيقى الغربية ، وتستطيع أن تقاومها بميزات (روحية) ليست لها ... أخشى يا حضرات الموسيقيين الشرقيين عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى والشوا أن يضحك الأستاذ الحكيم ملء شديقه من كلامى هذا عن الموسيقى الشرقية التى ابتدعت فيها الأعاجيب فإذا أنتم صانعون ؟ على أننى أحب أن ألفت نظر سائر الفنانين المصريين إلى ثورة الأستاذ توفيق الحكيم عليهم وإزرائه بهم ... الأستاذ الحكيم الذى يرى ... « أن الفنان هو الكائن العجيب الذى يجب أن يلخص الطبيعة كلها بمادتها وروحها فى ذاته الضئيلة المحدودة ... ذلك الكائن الذى يعيش فى داخله الحيوان ... والإله جنباً إلى جنب^(٢) ! ... »

لله ما أبدع هذا الكلام وما أروع ! لقد عاد توفيق الحكيم إلى مصر من فرنسا ، فزعم أنه عاد إلى الصحراء^(٣) ! الصحراء التى لا تعرف الحياة الفكرية . لقد تمب من كل شئ ، ومن كل إنسان ، ويئس من أن بلداً كصر يصبح فى يوم قريب ذا حياة فكرية ؛ لأنه لا حياة فى مصر لمن يعيش للفكر . إنه يزيد

نظرة إلى ما دون العشرة مع أن مصر والشرق بخير، وهما يعجان بالثقافتين الذين تنطبق عليهما شروطه الثقافية انطباقاً تاماً ومع أن عدد المصورين وحدهم يربى في مصر. وحدها على الثلاثة أو الأربعة، وعدد المثاليين يزيد على الأربعة أو الخمسة، وعدد الموسيقيين يزيد على الاثنين أو الثلاثة، وعدد الأدباء يزيد وحده على الثمانية أو التسعة. والأستاذ الحكيم منهم بالطبع بل في مقدمتهم، وعدد المخرجين المسرحيين يقارب الثلاثة، وعدد الممثلين والمغنيين والمغنيات يزيد على الستة... وإن كان عدد المؤلفين المسرحيين لا يصح أن يجاوز الواحد... وذلك عند ما يؤلف توفيق الحكيم للمسرح.

لولا مغالاة الحكيم في التشاؤم... لكان كل ما قاله في زهرة العمر حقاً... ولا سيما هذا الكلام الذي قاله عن الأدب العربي واللغة العربية وأساليب الكتابة العربية، مما يحتاج حديثاً آخر، وليتأخر الكتاب على الأستاذ الزيات أسبوعاً نائلاً، فإني أكثر الهدايا التي تصل إلى الرسالة من المؤلفين اليوم.

درويش خضبة

تخطيم كل شيء، ليهيم على وجهه في بلاد الأرض، لا تحده غاية ولا توقفه غاية، ولا يوقفه غرض^(١)! إنه يطلب إلى صديقه أن يحذره عما عندد في الشاطئ الآخر المائج بأضواء الحياة الفكرية^(٢)، وهو يخبره أنه حينما عاد إلى الشرق - أي مصر - أصابه بادية الأمر ذهول، ذهول عن أندريه وعن كل شيء، كمن وقع من السحاب حقيقة، ثم أخذ يتصفح الوجوه والأشياء حوله. يالها من حقيقة مؤلمة! لقد رأى نفسه في شبه عالم نائم. لقد شعر بما قد يشعر من يهبط سطح القمر الأجرد المعتم، وعاش بضعة شهور بغير نفس ولا إدراك. وحينما ألقى إليه خطاب من أندريه أفاقه من (أفيون الشرق!) فرأى أنه في حاجة إلى شخص يهزله المصباح من الشاطئ الآخر^(٣)، لأنه يعيش في صحراء^(٤) يصيح في أرجائها. وأنه يتألم آلام من يعيش في غير عصره. «قد تسألني أليس في مصر طبقة المستنيرين؟ نعم في مصر طبقة مستنيرة فيها كثيرون عاشوا في أوروبا وعرفوا الثقافة الأوروبية، وفيهم من يعرف الفن الأوربي ويتكلم عن المصورين والتصوير، ومن يتكلم حتى عن برامس وباخ وهاندل. ولكن النادر أن تجد بين هؤلاء من عرف أن الثقافة الحقيقية شيء والكلام فيها شيء آخر... إن هؤلاء المتكلمين في الموسيقى والتصوير والفنون يعرفونها برؤوسهم ولا يدركونها بحواسهم. إنى المطالب للثقافة ليس بمجرد المعرفة بل الإحساس والتذوق والتغذي بمختلف الفنون... الثقافة ليست كلاماً عملاً به الرأس ولكنها لحظة الملكات كلها والحواس. إذا سلمت بقولي هذا فلا أباغ إذا قلت لك أن ليس في مصر عدد أصابع اليدين من المثقفين^(٥)» ولست أدري إذا أردنا أن نحصى هؤلاء التسعة أو الثمانية المثقفين في مصر فكم منهم يكون من فئة المصورين وكم يكون - أو يكونون - من فئة الموسيقيين، ثم من المثاليين والممثلين ورجال الأدب والفكر والصحافة والمسرح (مؤلفين ومخرجين ومهندسين...)

ولست أدري ماذا يريد الأستاذ توفيق من النزول بمصر المزينة والشرق الناهض إلى مراتب البيد، وبعده المثقفين في

إدارة البلديات العامة - مشريات

إعلان مزايده

يطرح مجلس بني سويف البلدي في المزارد العلني بيع المهمات المستهلكة الموجودة بمخازنه وقد تحدد ظهر يوم السبت ٢١ يناير ١٩٤٤ للمزايده بدوان البلدية ويمكن الحصول على بيان المهمات من المجلس نظير دفع مبلغ ١٠٠ ملجم كما يمكن معاينتها بمخازنه.